﴿ الباب السادس عشر ﴾

(فى وجوب الصبر على المصيبة)

قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) وقال تعالى : (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم) والآيات التى فيها الأمر بالصبر كثيرة جداً معروفة . قال الامام أحمد : ذكر الله سبحانه وتعالى الصبر فى القرآن فى تسعين موضعاً . اعلم أن حقيقة الصبر عند أرباب التصوف خلق فاضل من أخلاق النفس يمنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل ، وهو قوة من قوى النفس التى بها صلاح شأنها وقوام أمرها . قال سعيد بن جبير : الصبر اعتراف العبد لله بما أصابه منه واحتسابه عند الله ورجاء ثوابه ، وقد يجزع الرجل وهو متجلد لا يرى منه الا الصبر . وقد تقدم حديث أبى زيد أسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ وارسال بنت رسول الله ﷺ الى رسول الله ﷺ أن ابنى قد احتضر فاشهد ، فارسل يقرى السلام . ويقول : « إن لله ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شئ عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب » الحديث . أمرها بالصبر . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه . قال : مر النبى ﷺ بامرأة تبكى عند قبر . فقال : اتق الله واصبرى . فقالت : إليك عنى فانك لم تصب بمصيبتى ولم تعرفه . فقيل لها : إنه النبى ﷺ ، فأتت باب النبى ﷺ فلم تجد عنده بوابين . فقالت : لم أعرفك . فقال : « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » رواه البخارى ومسلم . وفى رواية تبكى على صبى لها . فقال : « إنما الصبر عند أول صدمة » وهذا يشبه قوله عليه الصلاة والسلام : « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » فان مفاجأة المصيبة بغتة لها روعة

تزعزع القلب وتزعجه بصدمها ، فان صبر للصدمة الأولى انكسرت حدتها ؛ وضعفت قوتها ، فهان عليه استدامة الصبر كذلك الغضب . وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ . قال : « يقول الله عز وجل ما لعبدى المؤمن عندى جزاء اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة » رواه البخارى * وعن عائشة رضى الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون ، فاخبرها : « أنه كان عذاباً يبعثه الله تعالى على من يشاء فجعله الله رحمة للمؤمنين ، فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث فى بلده صابراً محتسباً يعلم انه لايصيبه الا ما كتب الله له الا كان له مثل أجر الشهيد » رواه البخارى ورواه الامام أحمد من حديث عائشة أيضاً بلفظه . قال شيخ الاسلام ابن تيمية : الصبر على المصائب واجب باتفاق أئمة الدين ، وإنما اختلفوا فى وجوب الرضا . انتهى كلامه . فالصبر واجب من حيث الجملة ، ولكنه يتأكد بحسب الاوقات . فهو فى زمن الطاعون آكد منه فى غيره ، فانه اذا صبر على الاقامة فى البلد الذى وقع فيه الطاعون ، وصبر عند موت أولاده أو أقاربه أو أصحابه وصبر أيضاً عند مصيبته بنفسه ، وعلم يقيناً أن الآجال لاتقديم فيها ولا تأخير ، وأن الله تعالى كتب الآجال فى بطون الامهات كما ثبت فى الصحاح ، كتب رزقه وأجله وشقى هو أو سعيد فلا زيادة ولا نقص الا فى صلة الارحام ففيها خلاف معروف بين أهل العلم ، فاذا صبر واحتسب لم يكن له ثواب دون الجنة ، واذا جزع ولم يصبر أثم وأتعب نفسه ولم يرد من قضاء الله شيئاً ، ولقد ضمن الوافى الصادق الناطق فى محكم كتابه حيث قال عن الصابرين : (انهم يوفون أجرهم بغير حساب) وأخبر انه معهم بهدايته ونصره العزيز وفتحه المبين . فقال تعالى : (واصبر والله مع الصابرين) فذهب الصابرون بهذه المعية التى هى خير الدنيا والآخرة وشارك بعض الأنبياء فى قوله (إننى معكما أسمع وأرى) وأخبر تعالى أن الصبر خير لأهله خبراً مؤكداً . فقال تعالى : (ولئن

صبرتم لهو خير للصابرين) وأخبر أن الصبر مع التقوى لا يضر كيد الاعداء أبداً . فقال : (و إن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط)

﴿ الباب السابع عشر ﴾

(فيما ورد فى الصبر على المصيبة)

قال الله تعالى : (و بشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله و إنا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) وقال تعالى : (ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الامور) وقال تعالى : (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم) وهذا باب متسع جداً فى الآيات والاحاديث ، وانما نذكر منه ما يوقظ الساهى و ينبه الغافل . وقد تقدم حديث أم سلمة من غير وجه من رواية الامام أحمد ومسلم وغيرهما وعن أبى مالك الحارث بن عاصم الاشعرى رضى الله عنه . قال : قال رسول الله ﷺ : « الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السموات والارض والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك » الحديث رواه مسلم ورواه أبو داود من طريق أخرى بلفظ غريب أن أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا أصابت أحدكم مصيبة فليقل إنا لله و إنا اليه راجعون اللهم عندك احتسبت مصيبتى فأجرنى بها وأبدلنى خيرا منها فلما احتضر أبو سلمة قال : اللهم اخلفنى فى أهلى خيرا منى . فلما قبض . قالت أم سلمة : إنا لله و إنا اليه راجعون عند الله احتسبت مصيبتى فأجرنى فيها * فانظر رحمك الله الى ما آلت اليه حين احتسبت وصبرت و رضيت و ركنت واتبعت السنة وقد تقدم نحو ذلك * وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن ناسا من الانصار سألوا رسول الله ﷺ فاعطاهم ، ثم سألوه فاعطاهم حتى نفد ما عنده فقال لهم حين أنفق كل